

## التركيبية الاجتماعية للجنوب الليبي الأصل والمنشأ

بادئ دي بدئ لابد ان نوضح ان مصطلح الجنوب الليبي أو الجنوب هو مصطلح جغرافي لايعني إقليم فزان فقط ، إنما يدخل معه منطقة الكفرة، أي جنوب إقليم برقة وهي منطقة لاتشملها هذه الورقة، وعندما يرد مصطلح الجنوب الليبي فأن الباحث يقصد به فزان فقط، اما حدود الجنوب الليبي فتاريخيا تختلف حسب الدول التي تعاقبت على حكمه فهو في العهد الروماني كان يمتد حتى خط الليمس<sup>1</sup> الواقع جنوب مزدة، وفي عهد الاستعمار الفرنسي أدخل في حدود فزان أو الجنوب الليبي مناطق غدامس ودرج وسيناون، ثم أقتصر بعد الاستقلال على ما هو عليه الآن، وأهم مدن إقليم فزان هي سبها وهي عاصمة الإقليم، ومرزق وجرمة وغات وبراك وأوباري وزويلة وتراغن وأم الأرنب وادري والقطرون ومحروقة وبرقن والغريفة وبنيت بية وهون وسوكنة وودان.

ويقدر عدد سكان إقليم فزان بـ 442.090 ألف نسمة حسب تعداد سنة 2006م، وأول ملاحظة تستوقفك عند دراسة التركيبية الاجتماعية للجنوب الليبي هو كثرة القبائل والأعراق فيه، ولعلي لا ابالغ إذا قلت ان ما في فزان من تنوع عرقي ولغوي هو أكثر مما في الشرق أو الغرب الليبي، وأنها لأرض مباركة هذه التي تجمع كل هؤلاء الخلق على اختلاف أعراقهم وقبائلهم وألوانهم وألسنتهم وأزيائهم وثقافتهم.

تنقسم التركيبية الاجتماعية في الجنوب الليبي وفقاً لتصنيف الحضارة والبدواة الى قسمين أساسيين وهما الحضر والبدو

أولاً الحضر:

وهم سكان القرى والمدن في فزان، وهم اولئك الذين يطلق عليهم مسمى أهالي ويشكلون أكبر نسبة من عدد سكان الجنوب والسؤال هل الاهالي أو الفزانة عرق أم جغرافيا والإجابة التي يصل لها كل مقلب في كتب التاريخ بأنه يستحيل فض

<sup>1</sup> - هو خط دفاعي روماني اقيم للدفاع عن إقليم المدن الثلاث أوبا ولبدة وصبراته.

الاشتباك بينهما،، ففزان عرق وجغرافيا معا، فكون فزاناً عرقاً، فنعم، فلقد ذكرت من ضمن القبائل الليبية القديمة، وفي مصدر آخر قيل (قبيلة القمفرانتس)<sup>1</sup> والثاء والسين لازمة في اللسان الإغريقي أو الروماني وفي مصدر آخر هم (جنس يعرف بفزان)<sup>2</sup> وملتقط من كلمة جنس معنى الكثرة والانتساع و إن القبيلة تحولت بالكثرة في وقت لاحق إلى شعب، وما استمرار اسم فزان للإقليم<sup>3</sup>، وانتقال الأسماء القديمة لعيون الماء وأسماء النخيل والقرى، والتي لا نعرف للكثير منها تفسيراً إنما يدل على عدم وجود انقطاع بشري بل هناك تسليم واستلام لشعلة فزان كاسم من أقوام ولهجات تذوب في أقوام ولغات تحل، وبمعنى آخر فان العرق اللاحق سلماً جاء أو حرباً، يرث صفات العرق السابق، بما فيها الاسم، وبهذا ففزان شكلت) مسرحاً لعدد من الهجرات البشرية المختلفة نتيجة لموقعها الجغرافي غير ان ذلك لا ينبغي أن يحجب عن الأنظار استمرارية العناصر المحلية ، فليس هناك من الأسباب ما يحول دون القول باستمرارية انتقال السمات الفيزيائية والمورفولوجية المميزة للسكان المحليين)<sup>4</sup>، وتذكر بعض المصادر والرويات (ان الفزاني ماقبل الاسلام هو حفيد حام ابن نوح وان الفزاني) وان الفزاني ما بعد الاسلام هو حفيد الفاتحين العرب سواء أولئك الذين بقوا في القرى وتزوجوا مع اهلها دون عنصرية ولا تعصب أو أولئك العرب الفاتحين الذين وصلوا للمغرب العربي ولاندلس ثم عادوا في الهجرة العكسية من المغرب والساقية<sup>5</sup> في القرن السادس عشر أو قبله، وبعضهم هو حفيد (العرب الهلالية الذين رحلوا من مصر في القرن الخامس الهجري /الحادي

<sup>1</sup> - على فهمي خشيم. زراع الملح ( طرابلس: دار مكتبة الفكر. د. ت. ص.7.

<sup>2</sup> - أحمد النائب الأنصاري. نفحات النسرين والريحان(طرابلس: دار الفرجاني للنشر والتوزيع.1994)ص6

<sup>3</sup> - الحرب ضد اسم فزان مستمرة فهناك من يهرب للجغرافيا فيقول انا من الجنوب وهناك من يهرب لعاصمة الإقليم فيقول انا من سبها أوسبهاوي، وهكذا سوقت عند العامة في طرابلس، فينادون الفزاني بالسبهاوي والغريب ان الكثيرين يجيبون بنعم.

<sup>4</sup> - سالم محمد عبدالله هويدي. الحضارة الجرمية(طرابلس: المركز الوطني للمحفوظات.2010)

<sup>5</sup> - طائفة كبيرة من هؤلاء أيضا جاءوا بمفردهم وتزوجوا فزانيات من القرى التي سكنوها دون عنصرية ولا تعصب

عشر الميلادي في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله<sup>1</sup> وأن كان قسماً كبيراً منهم قد توجهوا لإفريقية (تونس) فإن قسماً منهم توغلو مباشرة نحو السودان وتشاد وفزان والى (هذه القبائل تنسب القبائل التشادية الموجودة اليوم في كانم وبرنو شرقي وغربي بحيرة تشاد)<sup>2</sup>

إما كونها جغرافية: فقد أخذت هي الأخرى اسمها من سكانها القدماء، وأكثر من طبيعي أن تسمى الأرض على أسم ساكنيها الأوائل، وهو الأكثر شيوعاً ونجد إن الإدريسي (في القرن الثاني عشر رسم خريطته المشهورة وأوضح عليها تلك الأسماء التي تنسب الأرض والبلاد لسكانها وأعراقها)<sup>3</sup> ومؤلف كتاب جغرافية فزان في ستينيات القرن الماضي، وهو جغرافي ضليع، لم تسعفه الظروف الطبيعية في تحديدها، فقال (أفلا تكون فزان إقليمياً بشرياً أكثر منه إقليمياً طبيعياً فأضحت فزان ذات مدلول بشرياً إذ تعني الواحات التي يمارس السكان فيها الزراعة ويسمى هؤلاء السكان الفزانة... ويجنحون للدعة والوداعة ويرتبطون عن طريق المكان إذا ينتسبون إلى قراهم وليس إلى قبائلهم)<sup>4</sup> وهذا ما عليه أغلب أمم العالم المتمدن المتقدم الذين تجاوزوا العشيرة الضيقة إلى الإنسانية الواسعة والى العلم والسياسة والاقتصاد.

وهذا الالتحام بين العرق والجغرافيا تولد عنه مركب جديد هو الهوية التي هي فوق وأعلى من مرجعية العرق والجغرافيا، وبمعنى أدق قد لا يكون الكل ينتمي بيولوجياً للعرق لكن بالمعنى السوسولوجي أي المكث لقرونا طويلة في وسط اجتماعي معين فيقول الإنسان ويتوحد مع العرق السابق، والغالب عدداً في الصفات كطرق التفكير

<sup>1</sup> - عبدالجواد الصادق الشيباني. الهجرة الهلالية إلى إفريقية الزيرية (طرابلس : مركز جهاد الليبيين. 2007) ص 53

<sup>2</sup> - نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

<sup>3</sup> - سامي خشبية. نقد الثقافة (القاهرة: مطابع الهيئة المصرية. 2004) ص 46

<sup>4</sup> - جمال الدين الدناصوري. مرجع سابق ص 35

والسلوك والشعور، ويندرج في منظومة قيم وعادات وثقافة<sup>1</sup> متماثلة، ويتوحد في المصير<sup>2</sup> وغالباً حتى في اللون.

## ثانياً البدو:

وهم القبائل التي كانت تعيش في أزمان سابقة على حرفة الرعي، ويضم هذا المصطلح كلا من العرب البدو وقبائل التبو والطوارق معاً، وستعرض هنا لمحة عن قبائل البادية العرب أما قبائل البادية من الطوارق والتبو فسنعرض لها لاحقاً، وقبائل البادية العرب يقطن أغلبهم في مناطق وادي الشاطي وسبها وقليل منهم في قرى أخرى، ونذكر منهم أولاد سليمان والورفلة والقذافة والمقارحة والحساونة والحطمان والقوايد والزوايد والزنتان وأولاد ابوسيف والمشاشية، وغيرهم من القبائل صغيرة العدد

## وتنقسم التركيبة الاجتماعية في الجنوب الليبي وفقاً للتصنيف العرقي الى:

**العرب:** وهم من ترجع أصولهم إلى جزيرة العرب، أو ممن استعربوا ويشكلون الأغلبية في الجنوب الليبي ويضم هذا العرق كلا من الاهالي وقبائل البادية العربية.

**الطوارق:** وهم أئنية من السكان القدماء للصحراء الكبرى، ويسكن قسم منهم في الجنوب الليبي، ومن دول الجوار الإقليمي التي يسكنونها، النيجر والجزائر، ودولة مالي ولهم لهجة خاصة بهم، وترجع أصول الطوارق الى قبائل صنهاجة، والتي تعود في أصولها البعيدة إلى قبائل حمير العربية التي هاجرت من اليمن بعد انهيار سد مأرب(وهم من الهجرات العربية الأخيرة إلى شمال أفريقيا، قبل الفتح العربي الإسلامي بحوالي ستة قرون، وقيل أنهم هم الذين جلبوا الجمل إلى شمال أفريقيا من

<sup>1</sup> - والهوية تتضمن الثقافة وحتى أولئك الذين ينتسبون فإنهم يذهبون بأسوف عليهم، بأجسادهم فقط اما ثقافتهم فتظل فزانية غصبا عنهم، ومن يريتمون عليهم يرحبون بهم كزيادة عدد ورفد وأصوات انتخابية جاءت دون جهد، وفي المناسبات زخم وسند وعمرسان على مضض، لكن في أعماق الأعماق يعون أنهم لا ينتمون للجد الأعلى، وغالباً هم موضع سخريه وازدراء.

<sup>2</sup> - الجانب الأخلاقي للمسألة انه من المعيب ان الإنسان وقد أصبحت لديه قبور آباء وأجداد في تراب قوم بجانب قبور آباؤهم وأجدادهم وربما أرواحهم تعلق معاً في فيروز السماء، وقد عاشوا معهم في السراء والضراء ان يقلب الابن اليوم لهم ظهر المجن.

الجزيرة العربية، ويكادُ الإجماع ينعقدُ في نسبة الطوارق إلى البربر على وجه العموم، وإلى قبيلة صنهاجة وفُرُوعها لمتونة وجدالة ومسوفة، على وجه الخصوص. أما الطوارق أنفسهم فلا يُخالطهم ريبٌ في نسبتهم إلى صنهاجة، وصنهاجة يرفعون أنسابهم إلى حمير)<sup>1</sup> وهناك في الطوارق أنفسهم من ينكر عروبة الأصل، وينتسب للمازيغ، ولقد حاول الاستعمارين الإيطالي والفرنسي استمالة بعضا من الطوارق لإنكار أصولهم العربية الحميرية والقول بأنهم شعوب أوروبية قديمة، وعملت فرنسا على (ما اسمته الظهير البربري سنة 1930م)<sup>2</sup> ونجد في كتاب قرنسياني قوله (أن الطوارق يصنعون إشارة الصليب على راحة الجمل لكي يتذكروا ديانتهم القديمة)<sup>3</sup> لكن الطوارق راسخون في عقيدتهم الإسلامية، أشد ما يكون الرسوخ، لدرجة (قتلهم لمبشر فرنسي يدعى دي فوكو سنة 1916م لأنه عمل في واحة جانت على نشر الثقافة الفرنسية وسعى إلى تحريض التوارق على ترك الدين الإسلامي)<sup>4</sup> ويطلق عليهم لقب الملتمين<sup>5</sup> لأنهم يغطون وجوههم ولا يبغون إلا أعينهم ويلقبون أحيانا بالرجال الزرق لأنهم يتعممون بلثام أزرق، والطوارق من أقدم القبائل أو المجموعات البشرية التي سكنت الصحراء الكبرى وقيل في مدحهم:

قوم لهم شرف العلى من حمير \* \* وإذا انتموا للمتونة فهم هم

وينقل عن ابن خلدون قوله إن تسميتهم بالطوارق، أو التوارك لتركهم الحق في صدر الإسلام، وفي مصدر آخر يقول سمو بالتوارك (لما أبو تحمل حياة الضيم تحت أسر واستبداد أهل السواحل)<sup>6</sup> أما الطوارق أنفسهم فيطلقون على أنفسهم "كل تماشغت" وتعنى أهل اللثام.

<sup>1</sup> - الطوارق الأصل والموطن. محمد الشيخ الأنصاري(طرابلس : مركز دراسات الجنوب الليبي.2015)ص3 ومابعدها.

<sup>2</sup> - وليد الزيدي. السياسة الفرانكفونية(عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.2010)ص14

<sup>3</sup> - رودلفو قرنسياني. نحو فزان. تر: طه فوزي ( القاهرة: مكتبة الصايغ . 1976 ) ص477. ص 48

<sup>4</sup> - محمد سعيد القشاط. من قيادات الجهاد الإفريقي محمد كاوسن(الرياض: مطابع هلا.1999)

<sup>5</sup> - قيل عن لثامهم : لما حوو علياء كل فضيلة \* \* غلب الحياء عليهم فتأثموا

<sup>6</sup> - محمود ناجي. مرجع سابق.ص195

**التبو:** هم أثنية من السكان القدماء للصحراء الكبرى، ويسكن قسم صغير منهم في الجنوب الليبي ولم يكن يتجاوز عددهم في ليبيا قبل ثمانينات القرن الماضي بضعة آلاف.

وتختلف الترجمات حول أصولهم، فهناك من يقول أنهم من الهجرات العربية القديمة وهناك من يقول بأصولهم السامية، وكان التبو في غابر الزمان قوم رحل لم يبنوا مبان أو صروح ولم يتركوا نقوش أو رسوم أو يصنعوا تماثيل أو أهرامات أو أي شيء يمكن لعلماء الآثار ان يستنطقوه ويخرجوا من أبحاثهم وحفرياتهم بمعلومات عنهم، والتبو (مجموعة عرقية تقطن أساسا في شمال وغرب تشاد وتتركز في جبال تيبستي، وفي جنوب ليبيا وأقصى غرب السودان كذلك أقصى شمال النيجر. وقد رجح العلماء مؤخرا مرجعية أصولهم إلى العرق السامي خارج القارة الأفريقية وبالتحديد الهند أو أوروبا، وتتكون مجموعة التبو من 38 قبيلة. وقد ذكرها هيروdot وغيره من الرحالة، ولكن هم قليلا ما كتبوا عن أنفسهم، ويعدون في غالبيتهم من بدو الصحراء الكبرى، يمارسون مهن مختلفة مثل الرعي والتجارة والزراعة، وكانوا قد اعتنقوا الإسلام منذ أن جاءت قوافل الدعوة الإسلامية إلى أفريقيا، سواء عن طريق مصر أو السودان، (والتبو قومية ذات جذور سامية أساسا شديدة الاختلاط بالحامية، يسمون أنفسهم «دزغارا» ولهم لغة خاصة بهم)<sup>1</sup>. وفي مصدر آخر يقول (التبو فهم من التيبستي الواقعة جنوب مرزق والقطرون والتجرهي)<sup>2</sup>

وتنقسم قبيلة التبو إلى (التيدا والدازا) وهم على قناعة باشتراكهم في أصل واحد، ولكنهم يتحدثون الآن لهجتين مختلفتين، "تيداجا" تيدا تبو " دازاجا" دازا تبو

**مجموعات صغيرة أخرى:**

<sup>1</sup> - من صفحة التبو على "فيسبوك"

<sup>2</sup> - فرانشسكو كورو. ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني. تر: خليفة التليسي(طرابلس دار الفرجاني 1971)ص20



يسكن بر فزان أيضا الكثير من المجموعات العرقية مثل الكانميون والبرنو والأترك والهوسة والباقرميين وهي أقليات قليلة العدد علاوة على تعربها واندماجها في المجتمع.

وتعليقا على التصنيف العرقي في الجنوب الليبي نقول يجب أن يكون هذا التنوع عامل قوة، فيكفي ان كل هذه الاعراق تعتق الاسلام ديننا وهو دين المساواة والعدلة الاجتماعية والاسلام لا ينكر الاختلاف بل ينبذ الخلاف، يقول تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم)<sup>1</sup> ويقول أيضا: (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)<sup>2</sup> )

ولقد (عرفت المجتمعات البشرية التنوع و التعدد الأثني منذ قديم الأزل وهذا التنوع الأثني لا يعد خطرا على المجتمعات إلا عندما تتوفر البيئة و العوامل المناسبة ليتحول إلي ظاهرة سلبية تهدد المجتمعات و الدول و تندرج بتفككها)<sup>3</sup> فالتنوع الأثني يفترض إن يكون عامل قوة لو كانت هناك عقول تعي، ودولة مستقرة وقوانين قوية، وقضاء نزيه مثلما هو الحال في سويسرا مثلا لتي تعيش بها خمس قوميات بلغات مختلفة ومع هذا هناك انسجام وتعايش سلمي، وهذا يجرنا إلى ضرورة انجاز دستور يقر بالحقوق الثقافية للقوميات التي تعيش بيننا لان(مسألة الاثنيات القومية غير العربية لا بد من التعامل معها مبدئيا قبل كل شي من زاوية الحقوق القومية المشروعة لكل جماعة أثنية إذا كان للعروبة أن تواصل تأكيد طابعها الإنساني المتسامح التي انطلقت منه أصلا في ظل الرسالة الإسلامية وقيمها السامية وأي محاولة لإنكار هذا الحق القومي المبدئي لأي جماعة ومعالجة الإشكالية بوسائل القهر والكبت لن تؤدي إلى حل المشكلة بل ستزيدها تفاقما)<sup>4</sup> لان الصراع بين القوميات والأعراق لا يصب في صالح استقرار الدولة أو الأقليم، وهذا ما يحصل في

<sup>1</sup> - (قرآن كريم. سورة الحجرات، الآية 13)

<sup>2</sup> - (قرآن كريم. سورة الروم. الآية 22 )

<sup>3</sup> - سهام فوزي حسين .التنوع الأثني و المذهبي و الأمن القومي . رسالة ماجستير جامعة القاهرة قسم العلوم السياسية

القاهرة 2008. ص1

<sup>4</sup> - محمد جابر الأنصاري وآخرون. النزعات الأهلية العربية. مرجع سابق. ص27

الجنوب الليبي ويالاسف بعد ثورة 17 فبراير، والأمر لم يكن كذلك دائماً فكثيراً ما تعايش الناس في هذه الصحراء في ظل قيم مصانة واحترام متبادل.

وخلاصة القول فإن الجنوب الليبي أو فزان هي جغرافية شكلت بوثة انصهرت فيها أمشاج من الخلق وأقوام واعرق على مدى التاريخ من القمفرانتس الى التروجيلدي والإثيوبون والتحنو والجرمنت والبربر والصنهاجيون والعرب الفاتحون والهواره والعرب السليميون والهاليون وعرب الهجرة العكسية ومن معهم من المورسكيون<sup>1</sup>، والكانوري والطوارق والتبو والكانميون والبرنو والهوسة والمغاربة والأتراك.

ومن ضمن خلطة الاهالي التي انصهرت وتمازجت في البوثة الفزانية عرقاً وجغرافياً هم قسماً من الامازيغ ونستدل على ذلك من اللغة والتي لازلنا نتداول بعضها منها في لهجتنا المحكية حتي دون ان ندري، ومنها أسماء القرى والمناطق وأسماء عيون الماء القديمة وأسماء أكثر انواع الثمور<sup>2</sup>، فكلها امازيغية جرمية ان جازت التسمية، وأغلبها يبدأ بالتاء التي تقابل في العربية (ال) التعريف، وأجابنا أحد العارفين باللهجات عند عرضنا لعدد من التسميات القديمة في الجنوب الليبي بأنها أقرب للهجة أهل غدامس وأهل سوكنة، أما قول البعض بأن كل التسميات المبتدئة بالتاء طارقية فهو غير صحيح والدليل وجود الكثير من المناطق والمدن المبتدئة بالتاء في الشمال الأفريقي في الجزائر والمغرب حيث لا وجود للطوارق هناك والكثير من التسميات لا مقابل لها في طارقية اليوم، وجائز لو قيل كلاهما امازيغي الجذور، فكلام صحيح، فهما تتقاربان لكن لا تتشابهان والله أعلم، ويقول الدكتور محمد سليمان أيوب (من الثابت مما بين أيدينا أن الخط الجرمنتي كان يختلف كلية عن

<sup>1</sup> - رغم أهمال المصادر لهذه المعلومة لكن كاتب هذا الورقة يرجح ان عدداً من سكان فزان فيهم من المورسكيون وهم الأندلسيون الذين أعتقوا الاسلام، ورفضوا الردة امام محاكم التفتيش، وانتقلوا للشمال الافريقي، وسكنوا مدن بعينها في المغرب والجزائر، ووصل فيما بعد عدداً منهم لفزان وخاصة مرزق وما جاورها من قرى، بل يذهب الكاتب الى ان اسم مرزق أشتق من أسمهم، أي مرزق من مورسك أو مورسكيون ثم حدث أبدال في الاحرف تسهيلاً للنطق فاصبحت مرزق.

<sup>2</sup> - مثل تافسرت، تاليس، تغيات، تاقدفه... إلخ



التيفناغ المعروف الآن)<sup>1</sup> ويقول باحث (لقد زالت حالياً اللغة الجرمنتية من فزان نهائياً ولا يتحدث بها سوى أفراد قبيلة جرمة التي هاجرت وسكنت بالقرب من مدينة نيامي عاصمة النيجر وحتى هؤلاء يتكلمون لغة خليط من الجرمنتية والطارقية والهوسية)<sup>2</sup> أما جمال الدين الدناصوري فيقول (يرجح ان البربر لم يتسربوا الى فزان الا على نطاق ضيق وأنهم لم يعزلوا بل استعربوا عن طريق الزواج وأختلاط الدماء تم باقتباس العادات واللغة)<sup>3</sup> إلا أننا نكرر ما سقناه سلفاً وهو انه ترد على لساننا الكثير من الكلمات الجرمية أو الفزانية القديمة المبتدئية بالثناء مما يؤكد أن قسماً من السكان كان أمازيغياً.

**وخلاصة الخلاصة نقول أن التعددية صفات إسلامية والطابع المميز للدولة الإسلامية في عصر نقائها ووحدها واتساعها، والتنوع أيضاً صفة الحضارات المتقدمة، ونذكر هذا لأن النظام السياسي السابق ممثلاً في رأس النظام حاول اللعب على التركيبة الاجتماعية للجنوب الليبي وذلك عبر إعادة احياء القبليّة بهدف إضعاف مكون الفزانة ومحاصرتهم حتى أصبح تعريف الشخص لنفسه بأنه فزاني ضرباً من الكفاح، وحتى أنكر البعض أصله وفصله، وانتسب إلى غيره الذي هو ليس بأفضل منه حسباً ونسباً.**

عمر الوحش

<sup>1</sup> - محمد سليمان أيوب. المصدر السابق ص165.

<sup>2</sup> - محمد سليمان أيوب. مصدر سابق ص24 ، وانظر كذلك سالم هويدي. الحضارة الجرمنية. ص107.

<sup>3</sup> - جمال الدين الدناصوري. مرجع سابق. ص173



والنمية

المصدر سلسلة تاريخنا

مليزدا

